وقد كان التقرير السياسي نقطة جديدة توقف عندها وأمامها المؤتمر . وما إن انتهى الأخ أبو اللطف من تلاوة تقريره ـ تقرير اللجنة المركزية ـ حتى كان حوالى تسعين عضواً، من أعضاء المؤتمر، قد تقدموا بأسمائهم طالبين الكلام لمناقشة التقرير السياسي .

وهنا ، أود أن أشير إلى أن المؤتمر العام الرابع لحركة « فتح » قد ناقش بمسؤولية عالية تقرير اللجنة المركزية السياسي ، وان الجو الذي جرى فيه النقاش كان جواً ديمقراطياً عكس نفسه بشكل واسع على كافة أعضاء المؤتمر .

وأريد أن أسجل ، هنا ، أن النقد الذي ووجه به التقرير السياسي قد كشف ، أمام قادة حركة « فتح » ، بشكل خاص ، وأمام أعضاء الحركة ، بشكل عام ، عن حقيقة لم يكن يعرفها سوى القليلين ، وهي أن تراكماً ، في الوعي السياسي «القاعدي»، قد نما في غياب مؤتمرات الحركة ، وان هذا الوعي قد عُبِّر عنه ، بشكل صارخ ومبدع وخلاق ، أثناء المؤتمر الرابع .

فالنقاشات التي جرت في المؤتمر ، كانت خلاقة وواعية ومسؤولة ، وحريصة على مستقبل الحركة ، وعلى استمرارها ونموها بشكل رائع . وباستثناء بعض التخطيات لبعض القواعد الأصولية ، وهي تخطيات قليلة ومسموح بها، كاستثناءات ، فانه يمكن القول بأن ثلاثة أيام من النقاش الدائر حول المسألة السياسية في المؤتمر كانت تعبر عن طليعية الأفكار التي حفل بها النقاش ، وعن مدى ما يتمتع به أعضاء الحركة من تنامٍ في الوعي السياسي .

وإن جاز لي التعبير ، بانطباعي المتواضع ، عن هذه الأيام الثلاثة الأولى، من الأيام العتيدة للمؤتمر العام الرابع لحركة « فتح » ، فانني لن أتردد في القول ان مؤتمر « فتح » هو مأثرة تعكس الوجه الأكثر اشراقاً في وطننا العربي . تعكس تعطش الانسان العربي المضطهد المقهور من كل الأنظمة ، ونزعته إلى الحرية والديمقراطية .

إن ما ظهر من ممارسة مسؤولة للديمقراطية، في المؤتمر العام الرابع لحركة « فتح » يفضح ، بالدليل الملموس ، مزاعم الذين يتصرفون على أساس أن الانسان العربي ليس أهلاً للحرية ، ويؤكد أن الذين يصادرون حرية المواطنين هم أعداء لهم . وانني لأتوقع تنامي حجم حركة « فتح » ، وأتوقع صلابة متزايدة في النضال ، واصراراً عنيداً ، أكثر من أي وقت مضى ، على مواصلة التصدي للعدوين : الامبريالي والصهيوني ، ولحلفائهما وعملائهما من الرجعيين في منطقتنا . ففي مناخ الحرية يتنفس النضال ، وفي جو الديمقراطية تنمو الارادة وتتصلب ، ويتفجر رحم الأرض بالعطاء الأعظم الذي يقود إلى النصر .

وفي اليومين ، الرابع والخامس ، لمؤتمر حركة «فتح » تمت مناقشة التقارير الأخرى : التقرير العسكري وتقرير الأرض المحتلة ، والتقرير المالي . وجرت خلال مناقشة هذه التقارير مداخلات ، جادة ومسؤولة ، عكست حرص كل عضو من أعضاء المؤتمر على التصدي بمسؤولية للايجابيات والسلبيات ، وعلى طرح كافة المشكلات السلبية بروح بناءة ، بغرض الوصول إلى تصحيح المسار ، ولوضع الأمور في نصابها .

وإذا كان هناك من نقطة لا بدّ من اثارتها ، في هذا السياق ، فهي أن توجه المؤتمر ، لدى مناقشة التقرير المالي ، قد انصبّ بشكل أساسي على تحقيق الاعتماد ، من الناحية المالية ، على الجماهير : الفلسطينية في الدرجة الأولى ، والعربية في الدرجة الثانية ، لأن هذا ، كما ورد في الحيثيات ، يؤكد استقلال الارادة الفلسطينية ، ويحرر القرار الفلسطيني من أي قيد قد يقع عليه ، من هذا النظام أو ذاك .

أما بالنسبة للتقرير العسكري وتقرير الأرض المحتلة ، فان المؤتمر كان مطلق التوجه فيما يتعلق بتطوير العمل العسكري ضد الاحتلال ، وضد الامبريالية وعملائهما في المنطقة العربية . كما كان مطلق التوجه أيضاً فيما يتعلق بزيادة دعم المناضلين الصامدين داخل الوطن المحتل ، وتطوير العلاقة بين الداخل والخارج بما يخدم أهداف النضال الوطني الفلسطيني في مواجهة الاحتلال الصهيوني ، الاستيطاني العنصري .

وقد توقف المؤتمر ، بعد ذلك ، ليشكل لجانه التي بلغت ثماني لجان هي ، السياسية ، والتنظيمية ، والمالية ، والعسكرية ، والاعلامية ، والأمنية ، ولجنتا الأرض المحتلة والشؤون الإجتماعية .